المحاضرة ال اربعة عشر:

الفنون النثرية: الرسائل الأدبية

تمهيد.

1. مفهوم الرسالة. 2. أنواع الرسالة.

أ. الرسالة الديوانية.

ب. الرسائل الإخوانية.

3. تطور فن الرسالة.

4. أدب الرسائل في العصر الحديث. 5. نماذج من أدب الرسائل

المحاضرة ال اربعة عشر:

الفنون النثرية: الرسائل الأدبية

تمهيد: لقد وظّف الإنسان في تواصله مع بني جنسه آليات متنوعة، وذلك من أجل استمرار الحياة، ومن هذه الآليات التراسل أو الرسالة، وما يعنينا في هذا المقام الرسالة الأدبية باعتبارها نوعا من أنواع النثر الفنّي أو جنسا أدبيا يضاف إلى الأجناس الأخرى.

1. مفهوم الرسالة: الرسالة في مفهومها الفنّي هي قطعة أدبية لأنّ الأديب يكتبها وهو في حالة صفاء ذهني فتنثال عبارته الأنيقة وهو في غاية الاتقان والتجويد، يقول في مفهومها محمد العوين: "هي نص نثري سهل يوجه إلى إنسان مخصوص ويمكن أن يكون الخطاب فيها عاما، فهي صياغة وجدانية حانية مؤنسة وفي عتاب رفيق يظهر النجوى أو الشكوى ويبوح بما في الوجدان من أحاسيس وأشجان وتتوارد الخواطر فيه بلا ترتيب ولا انتظام لتغدوا الرسالة وان قصرت أو طالت قطعة فنيّة مؤثرة دافعة إلى استجابة المشاعر لها وقبوها ما باحت به"[1].

إذن ما نستنتجه من هذا التعريف وغيره من التعاريف التي تكاد تكون كلّها متقاربة هو أنّ الرسالة فنّ أدبي فرض نفسه بين الفنون الأدبية الأخرى، له طابعه التداولي الخاص السّاعي إلى تحقيق لذّة التّواصل بين المرسل والمرسل إليه، ومن ثمّ يطلق لفظ الرسالة عامة على ما ينشئه الكاتب في تنميق فنّي جميل في غرض من الأغراض ويوجهه إلى شخص آخر ويشمل ذلك الجواب والخطاب[2].

وبما أنّ الرسالة الأدبية فنّ لا اختلاف عليه فإنّها تبنى على أركان أساسية لا بدّ من توفرها والّا لعدّت إبداعا ناقصا وهذه الأركان يمكن حصرها فيما يأتي:

---

[1] محمد العوين: المقالة في الأدب السعودي الحديث، الطبعة الأولى، الرياض، السعودية، مطابع الشرق الأوسط، 1992، ص243.

[2] ينظر، فائز عبد النبي القيسي: أدب الرسائل في الأندلس (في القرن الخامس الهجري)، ط1، دار البشير، عمان، الأردن، 1989، ص78.

- المرسل: وهو المنشئ لمادة الخطاب ومضمون الرسالة ويشترط فيه ظهور مبدأ القصيدة، أي المعرفة والوعي ما يكتب ولمن يكتب.

- المحتوى: (المضمون) لا يمكن كتابة رسالة والمرسل لا يعرف ما يكتب فالموضوع لا بدّ أن يكون واضحا وصادرا عن وعي صاحبه.

- المرسل إليه: وهو المتلقي الذي يستقبل مضمون الرسالة التي بعث بها إليه المرسل، إذ لا يعقل أن نبعث برسالة غير واضحة الوجهة.

2. أنواع الرسالة:

أما من حيث المضمون فنستنتج أن الرسالة نوعان:

أ. الرسالة الديوانية: هي الصادرة عن دواوين الدولة وادارتها، كونها تعتني بالشؤون الإدارية وما فيها من مراسلات ذات أسلوب إخباري ولغة تقريرية تخص الإدارة بشكل عام، وتتميز بالموضوعية في الخطاب وبُعدها عن الذاتية والعواطف، يقول عبد الحميد الكاتب: "بكم تنتظم للخلافة محاسنها، وتستقيم أمورها وبنصائحكم يُصلح الله للخلق سلطانهم وتعمر بُلدانهم لا يستغني المُلك عنكم ولا يوجد كاف إلّا منكم، فموقعكم من الملوك موقع أسماعهم التّي بها يسمعون وأبصارهم التي بها يُبصرون وأيديهم التّي بها يبطشون"[1].

لقد عرف ابن العميد بطريقة خاصة في الكتابة ظلّت قويّة وسار على نهجها كثير من الكتّاب فنسجوا على منوالها مدّة من الزمن، وهذه المقطوعة ما هي إلّا جزء من رسالة تضمنت "بعض نصائح عبد الحميد التي يضع بين أيدي رجال الديوان والرسّالة وان عدّها البعض دستورا واسعا للكتّاب"[2].

ب. الرسائل الإخوانية: وهي على خلاف تام مع النّوع الأول لأنّها تهتم بتصوير مشاعر النّاس في الرّجاء والرهبة والمديح والتهاني والاعتذار والاستعطاف والتودّد والدّعاء وما إلى ذلك ممّا يختلج من عواطف داخل الإنسان وهذا ما جعلها تعزف على أوتار العاطفة من أجل التأثير في المرسل إليه كهذه القطعة من رسالة طويلة بعث بها ابن العميد إلى أبي عبد الله الطبري معاتبا: "وقد ندمت ولكن أيّ ساعة مندم، بعد إفناء الزّمان في ابتدائك وتصفحي حالات الدّهر في اختيارك وبعد تضييع ما غرسته ونقض ما أسّسته، فإنّ الوداد غرس إذا لم يصادف ثرى ثريا وجوّا غذيا وما ٕء رويّا لم يُرج زكاؤه ولم يجر ماؤه ولم تتفتّح أزهاره، ولم

---

[1] ينظر، أبو العباس أحمد القلقشندي: صبح الأعشى، دار الكتب المصرية، القاهرة، مصر، دط، 1922، ص85. [2] سعيد منصور: الفن الشعري في نثر عبد الحميد، دط، منشأة المعارف الإسكندرية، 1979، ص35.

تجن ثماره، وليت شعري، كيف ملك الضلال قيادي حتّى أشكل عليّ ما يحتاج إليه الممزوجان ولا يستغني عنه المتآلفان وهي ممازجة طبع وموافقة شكل وخلق..."[1].

ما نلاحظه في هذه القطعة الرسالية، تلك الحرية المطلقة أثناء عملية الكتابة والتحرير إذ يترك الكاتب العنان لنفسه ويسيطر كلّ ما جال بخاطره من أفكار وعواطف وأحاسيس، على خلاف الرسالة الإدارية.

3. تّطور فنّ الرّسالة: يعدّ فن الرسالة من الفنون الأدبية القديمة التي عرفها العرب في فترة مبكرة من تاريخهم، وقد استخدمها الرسول صلى الله عليه وسلم في مخاطبة ملوك عصره لتبليغهم الدعوة الإسلامية الخالدة، وزاد اهتمام خلفاء المسلمين بهذا الفن كلّما اتّسعت رقعة الدولة الإسلامية.

وفي العصر الأموي ظهرت مدرسة عبد الحميد الكاتب التي رسمت خارطة الطريق في أدب الرسائل، حتّى قيل إن الكتابة بدأت بعبد الحنيد وانتهت بابن العميد وظلت طريقته سائدة حتّى جاء القاضي الفاضل في عصر الدولة الأيوبية واستنّ له أسلوبا خاصا في هذا

الفن وكانت الرسالة موضع اهتمام الحكام فأعدوا لها ديوانا خاصا أطلقوا عليه "ديوان الإنشاء" وجعلوا رئيسه من كبار الكتّاب والأدباء، حتّى جاء الأتراك فألغوا ذلك الديوان وقد ضعف هذا الفن خلال عصر الضعف الأدبي شأنه في ذلك كلّ الفنون الأدبية.

4. أدب الرسائل في العصر الحديث: بمجيء عصر النهضة ظهرت إلى الوجود فنونا أدبية كثيرة سبق وأن أشرنا إليها في المحاضرات السابقة، ولاحظنا كيف تطور الشعر بأنواعه الكثيرة، وكيف ازدهرت النثر بمختلف أجناسه، بقي فن الرسالة الأدبية الذي لم يكن له حظا

من هذا الازدهار، وذلك لانشغال الكتاب بمشاكل مجتمعاتهم وقضايا عصرهم ونحن نعلم أنّ هذا النوع من الرسائل لا يزدهر وأنصاره يعيشون قلقا فكريا ونفسيا بسبب المعارك السياسية والاجتماعية بالإضافة إلى ظهور أجناس نثرية جديدة مثل القصّة والرواية والمسرحية والمقالة

وكلّها شغلت النّاس عن الاهتمام بهذا الفن -أدب الرسائل-.

[1] زكي مبارك: النثر الفن الشعري في القرن الرابع، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، جمهورية مصر العربية، 2112، ص558.

ومع ذلك فقد سجّل لنا الأدب الحديث بعض الرسائل الإخوانية كتلك التي كتبها فارس الشدياق وعبد العزيز جاويش وما كتبه أنسي الحاج إلى غادة السّمان أو ما كتبه جبران إلى مي زيادة(*) أو ما كتبه العقاد... الخ.

يقول طه حسين في إحدى رسائله التي كتبها إلى صديقه نجيب الهلالي: "أخي العزيز أكتب إليك مرّة أخرى مستعينا بك وأثقل شيء عليّ أن يأخذك الحياء فتكلّف نفسك ما لا تطيق أو ما يشق عليك أو يمنعك الحياء من الردّ عليّ فأقسم عليك لا تتكلّف من هذا كلّه شيئا"[1].

نقرأ في هذه المقطوعة الرسالة خاصية الاستهلال في أدب الرسائل التي يحمل وظيفة تحفيزية تشدّ انتباه المرسل إليه إلى ما يريد أن يقوله المرسل ونحن نعلم أن خاصية الاستهلال تكون عادة بالبسملة وبعدها التحية أو بلفظة أما بعد وعند طه حسين اختار ألفاظا للتودّد والاستعطاف "أخي العزيز" وأحيانا يكتب مستهلا رسالته بذكر بعض التواريخ الدقيقة إذ يقول: "أكتب إليك بعد أن انقضت ثلاثة أسابيع منذ اليوم الذي ودّعتك فيه قبل سفري فقد أذكر أنّي لقيتك مودعا في الثالث من هذا الشهر، وأن أكتب إليك في الخامس والعشرين منه، وتستطيع أن تثق بأنّي منذ ودّعتك لم أنقطع عن التفكير فيك مرّات، في كلّ يوم أذكر عملك المعقّد المختلف الشاق وأشفق عليك ممّا تحتمل من جهد وما تلقى من عناء"[2].

إنّ السّمات الشكلية والأسلوبية والدلالية والوظيفة هي التي تحدّد الخصائص الفنيّة للرسالة وتضعها في خانة الأجناس الأدبية الراقية، وعدّت بالتالي نصوص إبداعية راقية، واذا افتقدت لتلك الشروط استحالت مجرد أداة للتواصل أو الإخبار أو الإعلام ليس إلّا.

واذا كانت الرسائل التي تحدثنا عنها أو أشرنا إليها قد صيغت في قالب نثري فهناكنمن الأدباء من حاول كسر هذه القاعدة وكتب رسائل في قالب شعري مثلما فعل العقّاد حي كتب رسالة شعرية إلى ميّ وكانت حينها بروما يقول مخاطبا إياها[3]:

(*) مي زيادة أديبة وكاتبة فلسطينية ولدت بالناصرة عام 1886 واسمها ماري إلياس زيادة درست المراحل الإبتدائية والمتوسطة والثانوية بمسقط رأسها، أكملت دراستها بجامعة القاهرة كانت تتقن تسع لغات، نشرت مقالات أدبية واجتماعية، أحبت جبران خليل دون أن تلتقيه مدّة عشرين سنة من 1911 إلى 1931، تاريخ وفاة جبران خليل، مرضت مرضا عصبيا فأدخلت مستشفى الأمراض العقلية، توفيت عام 1941.

(1) إبراهيم عبد العزيز: رسائل طه حسين، ميريث للنشر والمعلومات، مصر، الطبعة الأولى، 2111، ص49.

(2) المرجع نفسه: ص51.

(3) خالد غازي: مي زيادة، وكالة الصحافة العربية، الجيزة، مصر، 2111، دط، ص119.

أنا في روما وفي مصر أنا ** بـــعدت شقّتنا لولا النجاء
بيننا جيزة نور ســـاطع ** فوق أرسينا ونور في الخفاء
أرقب اللّيل إذا اللّيل ســجا ** فلنا منـــه على البعد لقاء
وأورد الشعر في مثل الكرى ** فإذا فيه من الـطيف ع ازء
الصادي فمن يوقـظه ** وعلى "فيه" من شـــفاء

أبيات خمسة حمّلها العقّاد سّوقه وحنينه لمي زيادة هذه الأديبة التي أحدثت بصالونها الأدبي الذي أقامته في بيتها، ثورة فكرية وأدبية وعاطفية فقد شغفت الكثير من الأدباء بحبّها، ما جعل صالونها يفرز مئات الرسائل الأدبية وكان لها صدى واسعا في عالم الأدب، وهذا ما جعل بعض الأدباء ينادون بضرورة إعدام هذه الرسائل الأدبية باعتبارها أوراقا خاصة، يقول أحد الدّارسين: "مذهبي الذي أنتكبه أنّ البريد الأدبي حتّى وان تناول شؤونا عامة، هو في النّهاية مكاشفة شخصية بين صديقين لها خصوصيتها الحميمة التي لا يسعني تلقاءها إلّا الدعوة إلى طيّ هذا البريد ودفنه بإكرام"[1].

وهناك من يرى العكس مثل الأديب نقولا يوسف (1914-1976) الذي يرى أنّ لمثل هذه الرسائل قيمة أدبية وفنيّة تعكس البعد الحضاري عند الأديب، وتكشف عن طريقة تعامله مع ذاته وغيره، كما تكشف براعة التصوير الفنّي الذي يضع هذه الرسائل موضع النصوص الإبداعية إذ يقول: "لا ولست من القائلين بإعدام هذه الرسائل باعتبار أنّه لم يقصد بها النّشر فهي بعض من آثارهم لا يقل قيمة عن ملابسهم المحفوظة في المتاحف مثلا وما زلت أرى في نشرها ما لدي من رسائل الأدباء فوائد أدبية للدّارسين والنّقاد والقراء جميعا"[2].

وبناء على الرأيين السابقين فإنّه يبدو لي أن الرسائل الأدبية هي جنس أدبي شأنه شأن الأجناس الأخرى، لا بدّ أن نوليه شيئا من الاهتمام والعناية بالدراسة والتحليل والتقييم والتقويم، لتستنبط ما فيه من أحكام وقيم لمعرفة الإضافة الممكنة التي أضافها هذا الفن إلى بنيتنا الفكرية، ونقف في النهاية على الاستشرافات المستقبلية التي يسعى إلى تحقيقها، وكلّ ذلك لا يتحقق إلّا بالنظر إلى هذه النصوص بوصفها بنية فنيّة وما هي الآلية النقدية التي يمكنها تشريح هذه النصوص تشريحا نقديا طموحا.

---

[1] حسين علي محمد: مجلة الفيصل، العدد 187، ذو القعدة 1413، ص17.

[2] سعد بن عياض العتيبي: مجلة الثقافة، العدد 954، أغسطس، 1981، ص87.

5. نماذج من أدب الرسائل:

أ. النموذج الأوّل: إنّ من أشهر الرسائل في العصر الحديث، الرسائل المتبادلة بين الأستاذ مصطفى الصادق الرّافعي وتلميذه محمود أبورية، فقد امتدت المراسلة بينهما أكثر من عشرين عاما من 1912 إلى 1934، وبعد وفاة الرّافعي تعهّد تلميذه -أبو رية- إلى جمع تلك الرسائل وطبعها في كتاب سمّاه "من رسائل الرّافعي" صدرت طبعته الأولى عام 1951 ثم طبعته الثانية عام 1969 وقد حذف في الطبعة الثانية، بعد العبارات التي رأى أنّها جارحة بعض الشيء كون الرّافعي قد كتبها وهو في حالة نفسية مزاجية كضيقه وتبرمه من النّاس أحيانا وغضبه وثورته تارة أخرى.

المهم انّ القارئ لهذا الكتاب -من رسائل الرّافعي- يقف حتما على القيمة العلمية المكتنزة بين دفتيه فأغلبها إن لم أقل كلّها كانت بين التلميذ أبو رية وأستاذه الرافعي، كانت رسالة التلميذ عبارة عن استفسار أو سؤال أو إشكالية مطروحة في عالم الفكر والأدب وكانت رسالة الأستاذ عبارة عن إجابة وافية بمنهجية علمية عن ما طرحه التلميذ محمود أبو رية. فقد كتب هذا الأخير رسالة إلى أستاذه يريد معرفة رأيه في أمتع كتب النحو قائلا: "لمّا صحّت نيّتي على أن أتّصل بشيخنا الرافعي رحمه الله رأيت أن أسأله عن أفضل كتب النحو والصّرف، وكنت قد سألت قبل ذلك عن هذا الأمر المغفور له الشيخ عبد العزيز جاويش رحمه الله، فأجابني أنّ خير كتب النحو كتاب سيبويه والمفصّل للزمخشري، طنطا 21 ديسمبر 1912.

أيّها الفاضل الأديب:

السّلام عليكم وبعد فإنّي أشكر لك ما أطريت وأحمد إليك كما أثنيت وأرجو أن تكون أهلا لخير مما وصفتني له إن شاء الله، فإن الأدب يرقب نوابغه دائما بين المعجبين به والرّاغبين فيه، وذري الحرص عليه، أما ما سألت من أمر كتب النحّو والصرف، فيشقّ على أن أدلّك على غرضك منها، لأنّي لست على بيّنة من قوّتك في فهم كتب القوم والبصر بها، غير أنّك لو سألتني عن أنفع وأمتع كتاب طبع في النّحو لدللتك على "شرح الكافية للرضى" وهو كتاب ضخم ليس في كتب العربية ما يساويه بحثا وفلسفة.

وللرضى أيضا شرح على الشافية في الصرف هو كصنوه في النحو لا يُعد غيرهما فاشترهما وضم إليهما كتاب متن التوضيح لابن هشام وشرحه، فإن لم تنتفع بالأولين انتفعت بالآخرين.

والى الله الدعاء في توفيقك وتسديدك، واذكر أنّي معجب برغبتك في الأدب واخلاصك لأهله، والسّلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

مصطفى صادق ال ارفعي"[1]. فهذا

نموذج رسالة إخوانية أدبية بين تلميذ وأستاذه، يلاحظ القارئ لها تلك المعلومات القيّمة التي جاءت في شكل إجابة عن أفضل كتاب في النحو والصرف، لقد استفاض الرّافعي في الإجابة وبين لتلميذه وللقارئ عامة فيما تكمن قيمة الكتب المشار إليها.

مع تسجيل ملاحظة: وهي أنّ الرّافعي في بداية مراسلاته مع أبي رية كان يخاطبه بلفظة أيها الفاضل الأديب ثم أيها الأديب الكريم ثم أيّها الأخ الفاضل وانتهى لمّا توطدت بينهما العلاقة أكثر إلى مخاطبته باسمه فكان يقول يا أبا ريّة ومثال ذلك هذه الرسالة

المؤرخة في 11 نوفمبر 1919 بطنطا يقول فيها: "يا أبا ريّة:

السلام عليك وقد كنت مريضا منذ يوم الخميس.

لقد صرت أهمل أشياء كثيرة يا أبا ريّة فلا أدري أين ذهبت تلك العزيمة الأولى التي كانت تمضي مضاء السيف، ولعلّ الله يرزق الشفاء من هذا المرض، فقد طال زمنه، ولعنة الله على الدنيا التي لا يقدّم فيها الإنسان خطوة حتّى تؤخره حوادثها خطوتين.

... يسرنا الله للخير والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

مصطفى"[2].

لقد حملت رسائل الرافعي الأدبية قيمة فنية وفكرية، ناقشت كثير القضايا المتعلقة بالأدب والنقد والفن والجمال والفلسفة، وأحيانا شرحت بعض الأبيات الشعرية وأبدت رأيها في ديوان شاعر أو كتاب أديب أو رواية مؤلف فكانت بحق مرجعا مهما في كينونة الأدب العربي الحديث.

ب. النموذج الثاني: ويتمثل في الرسائل الأدبية التي كانت بين جبران خليل جبران ومي زيادة، إذ يعدّ جبران من الأدباء الذين أثروا فن المراسلة عند العرب بما تركه من رسائل لفتت نظر الباحثين وأثارت فضولهم فولجوا عبرها إلى عالم جبران المليء بالأسرار، واقتحموا كينونته الأدبية، لقد استطاع بهذه الرسائل أن يكون علامة فارقة حقّق من خلالها فتحا جديدا في دنيا الأدب العربي الحديث لقد احتوت هذه الرسائل تجربة عشق تكاد تكون فريدة من

---

[1] محمود أبو رية: من رسائل الرافعي، دار المعارف، مصر، الطبعة الثانية، ص24. [2] محمود أبو ريّة: من رسائل الرافعي، ص79.

نوعها جمعت بينه وبين مي زيادة فكانا مثالا رائعا للحب الفريد في تاريخ الأدب، حب نادر متجرد من كلّ ما هو سطحي أو مادي، في علاقة عاطفية عاصفة دامت زهاء عشرين عاما من 1911 إلى 1931 تاريخ وفاة جبران، دون أن يلتقيا إلّا في عالم الفكر والروح والخيال الضبابي.

لقد كتبت مي رسالة بتاريخ 15 جانفي 1924 تصرح بميلها العاطفي إلى جبران حيث قالت: "غابت الشّمس وراء الأفق ومن خلال السحب العجيبة والأشكال والألوان حصحصت نجمة لامعة، نجمة واحدة هي الزهرة آلهة الحب، أترى يسكنها كأرضنا بشر يحبون ويتشوقون؟ ربّما وجد فيها من هي مثلي لها واحد: جبران حلو بعيد بعيد هو القريب القريب، تكتب إليه الآن والشفق يملأ الفضاء، وتعلم أنّ الظلام يخلف الشّفق، وأنّ النور يتبع الظّلام، وأنّ اللّيل سيخلف النّهار والنّهار يتبع اللّيل مرّات كثيرة، قبل أن ترى الذي تحبّه فتتسرّب إليها وحشة الشفق وكلّ وحشة اللّيل فتلقي بالقلم جانبا لتحتمي من الوحشة في اسم واحد جبران"[1].

هكذا تتميّز مي زيادة بأسلوبها الخاص، من خلال اختيار الألفاظ ذات الجرس المؤثر والعبارات الأنيقة والوضوح، مع العناية بالصقل والتهذيب والاحتفاء بالعبارات المناسبة والحرص الشدّيد على تنسيق الجمل، فقد كانت شخصية استثنائية بكلّ ما تحويه الكلمة من معنى لأنّها امرأة عاشت بقوس وقوانين المستقبل في ماض محفوف بالتأويلات وقصور الرؤيا، لذلك فإنّ هذه الأديبة قد خرجت عن النص في وقت مبكر.

وفي إحدى رسائل جبران التي ردّ فيها على رسالة مي تقرأ قوله: "هل تعلمين يا مي بأنّي كنت أجد في حديثنا المتقطع، التعزية والأنس والطمأنينة، وهل تعلمين بأنّني كنت أقول لذاتي: هناك في مشارق الأرض حبيبة ليست كالصبايا قد دخلت الهيكل قبل ولادتها، ووقفت في قدس الأقداس فعزمت السّر العلوي الذي اتّخذه جبابرة الصّباح ثم أخذت بلادي بلادا لها وقومي قوما لها، هل تعلمين بأنّي كنت أهمس هذه الأنشودة في أذن خيالي كما وردت على رسالة منك"[2].

تتّسم بعض رسائل جبران ببعدها الفلسفي التأملي الممزوج أحيانا بمظاهر الطبيعة، وقد أشرنا سابقا إلى أنّه رائد التجديد في الشعر العربي الحديث من خلال اعتناقه للمذهب

---

[1] سعاد فاروق: باقات من حدائق مي، منشورات زهير بعلبكي، بيروت، لبنان، 1981، ص183-184. [2] خالد غازي: مي زيادة، ص114.

الرومانسي، كذلك وجدنا أن رسائله التي كتبها إلى مي كلّها تحاول أن تسمو بروحه الصافية في ملكوت الحب، وتغدو هذه الرسائل تحفة أدبية، تعين القرّاء عبر الزمان والمكان.

كما نقرأ في أدب الرسائل دائما رسالة مي زيادة إلى صديقتها باحثة البادية (مَلَك حِفني ناصف)[*] تحييها وتحثها على مواصلة الكفاح من أجل تحرير المرأة والنهوض بها واليك جزءا من هذه الرسالة:

"ترنّمت باسمك قبل أ ن أعرفك واتخذت ذِكرك عنوانا لنهضة المرأة المصرية قبل أن أُطالع مقالاتك، لأنّ أصوات الجمهور قد اتفقت في الثناء على فضلك، غير أنّي عثرتُ بالأمس على مجموعة كتاباتك النفسية، فانحنيت عليها ساعات طوالا خُيل إليّ فيها أنّي أُقل ب صفحات نفسك المتفكرة المتوجعة.

بالأمس لمستُ نفسك وقرأتُ أفكارك فعثرت على جراحك بليغة ودِدتُ تقبيلها بشفّتي وروحي وما أطبقتُ الكتاب إلّا وانا ألثم بناني على غير هدى، ولم يكن ذلك إلّا إجلالا لصفحاتٍ قلّبتها وحُبا لنفس استحوبتُها فعرفتها، فيا من ارتفع قلبُها إلى فكرها وانحنى فكرُها على قلبها، أبتّها الباحثة لم تصمتين؟!"[1].

تعكس هذه الرسالة عمق الثقافة الواسعة التي اكتسبتها مي زيادة فأعانتها على فهم الحياة والتعبير عن شؤونها ممّا أكسبها إعجاب كبار الأدباء الذين ما لبثوا أن ضمّوها إلى صفوفهم وجعلوها موضع تكريم وتقدير.

الاستنتاج: ما نستنتجه من كلّ ما سبق أن الرسائل المتبادلة بين الأدباء والشعراء والمثقفين ذات قيمة تاريخية، إذ نعدّ من وجهة نظر المؤرخين من المصادر المهمة في كتابة التاريخ، لأنّها تعكس قدرة كاتبها في استخدام طاقات فنية مختلفة تتعلق بالدقة في اختيار الألفاظ وحسن تنميقها وحلاوة تركيب الجمل وصياغة العبارات في تأليف المعاني، وبالتالي فالرسالة الأدبية هي جنس أدبي مثل بقية الأجناس له جماليته الإبداعية المميّزة.

---

[*] باحثة البادية (ملك حفني ناصف) (1886-1918) أديبة مصرية داعية للإصلاح الاجتماعي من أجل إنصاف المرأة المصرية، بدأت عملها في صحيفة المؤيد، جمعت مقالاتها في جزئين بعنوان "النسائيات" ولها مجموعة شعرية في شؤون المرأة.

[1] مجلة الهلال: مجلة علمية تاريخية أدبية، شهرية، جمهورية مصر، العدد 11، 1968، ص16.